الفصل الثانى

مناهج البحث فى النظرية السياسية

١ - المنهج القياسى والمنهج الاستقرائى :

تتراوح طرق البحث منذ اليونان حتى الآن بين المنهج القياسى لافلاطون والمنهج الاستقرائى لارسطو والذى لم يستطع هو الآخر أن يبتعد كلية عن المنهج القياسى . وتاريخ المعرفة السياسية منذ عصر هذين الفيلسوفين حتى عصرنا الحديث هو قصة محاولة إنصرافهما عن المنهج القياسى التجريدى إلى منهج إستقرائي تجريبى .

إن افلاطون يبرر منهجه القياسى بإعتبار الدولة صورة للفرد ، ولذلك فإن العدالة فى الدولة هى صورة مكبرة للعدالة لدى الفرد ، وعدالة الاثنين واحدة ، ولكن الدولة أوسع وأوضح ومن ثم يقترح افلاطون " أن نبحث عن طبيعة العدالة والظلم كما يظهران فى الدولة ، ثم نبحثهما لدى الفرد فتنتقل بذلك من الأعم إلى الأخص ثم نقارن بينهما . وعموما فإنه تنبغى الإشارة أنه إذا كان المنهج العلمى السائد اليوم فى التطبيق فى علم السياسة منهجا تجريبيا ، الا أن المعرفة العلمية لا تتقدم بدون إفتراضات نظرية قد تثبت التجربة صحتها أو تثبت بطلانها .

وفى القرون الوسطى والاسلامية برز المنهج الاستقرائى فى البحث السياسى من خلال الدراسة التاريخية أو القانونية للدولة أكثر مما ظهر فى دراسات الفلاسفة أو المفكرين الذين ساروا على نمط أفلاطون وأرسطو . ويعتبر إبن تيمية وإبن خلدون ، من أبرز المفكرين الإجتماعيين المسلمين الذين نقدوا المنهج القياسى الأرسطوى ، وكانوا

يرغبون فى العودة إلى المنهج السلفى وإستبعاد دراسة الفلسفة والمنطق فعطلوا بذلك ظهور منهج تجريبى من النقد ، والذى به تنضج العلوم الطبيعية والاجتماعية نضوجا متواصلا ، فابن خلدون يرى ضرورة إدراك الوقائع التاريخية على حقيقتها وتحريرها من أوهام المؤرخين ، ومع ذلك فإن فريقا من الباحثين يعتبرون مقدمة ابن خلدون كتاباً فى أصول علم التاريخ أو دراسة فى المنهج التاريخى بإعتبار ما ذكره إبن خلدون من " أن فن التاريخ هو فن عزيز المذهب جم الفوائد ، شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الباحثين من الأمم فى أخلاقهم ، والأنبياء فى سرهم ، والملوك فى دولهم وسياستهم " ، وهكذا تجد أن المنهج التاريخى يؤكد على دراسة تاريخ النظام السياسى حيث أنه يلم بالاحداث السياسية التى أدت إلى أقامة تلك النظم ويربطها بالافكار التى كانت سائدة آنذاك .

ومن المناهج الأخرى المستخدمة فى تحليل الظواهر والاحداث السياسية المذاهب الآتية :

١- المذهب القانونى : حيث يركز الباحث على دراسة الاوضاع الدستورية فى الدولة من حيث علاقات أجهزة الحكم ومؤسساته ببعضها واختصاصاتها ووظائفها ودراسة الحقوق والالتزامات التى ينشئها الدستور ويقررها للأفراد .

٢ - المذهب الإجتماعى : حيث يحاول الباحث أن يبحث مكانة الظواهر السياسية ونظمها عن غيرها من الظواهر فيبحث الظواهر السياسية وعلاقتها بالحياة الاجتماعية .

٣ - المذهب الفلسفى : حيث يحاول الباحث التركيز على بحث القواعد الاساسية التى تحكم الظواهر السياسية فتكون دراسة مركزة على الفكر السياسى وعن أصلح حكومة لمجتمع ما .

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة علم السياسة فى عالمنا العربى المعاصر تتخذ عدة أساليب ففى مصر تسود المدرسة العلمية السياسية بإعتبار السياسية علماً قائما بذاته وقد سار عدد من الاساتذة المصريين فى هذا الطريق ، كما توجد المدرسة القانونية الدستورية والتى تعتبر دراسة السياسة جزءاً من القانون الدستورى ، هذا الاسلوب يتبعه معظم أساتذة القانون الدستورى فى العالم العربى ، ثم تأتى طريقة الدراسة المنهجية للنظم والنظريات السياسية الاسلامية ، وقد بدأ بها المستشرقون أول الامر ، ثم الكتاب العرب ، وأخيرا توجد المدرسة الخلدونية وهى امتداد لمنهج ابن خلدون ، وقد حاول جورجى زيدان السير على منهجه ، فى مجموعة دراسات للدولة نشرت سنة ١٩١٣ ، والخلاصة إن الاستعانة بالمنهج العلمى فى الدراسات السياسية – وأيا كانت المذاهب المستخدمة إنما يمثل مطلبا حيوياً مع الاخذ فى الاعتبار الطبيعية الديناميكية المعقدة للسلوك الانسانى فضلا عن كثرة المتغيرات غير المنظورة التى تحد من القدرة على التنبؤ فى مجال التحليل السياسى ، فهناك مشكلات ناتجة عن فقد الظواهر السياسية وأخرى نتيجة لعنف الجانب التجريبى لعلم السياسة ، كما أن هناك مشكلات ناتجة عن تعذر إستخدام وسائل القياس الكمى فى مجال التحليل السياسى نظرا لمرونة علم السياسة وعدم محدوديته ، حتى أن أحد الباحثين يرى أن علم السياسة ليس سوى إسما أطلق على مجموعة من الموضوعات ذات الاختصاص والتى تتصارع فى ميدان واحد للبحث ، وطبقا لهذا الرأى فإنه يوجد علوم سياسية بدلا من علم السياسة.

وقد يكون من المفيد بعد إستعراضنا للمنهج الاستقرائى ، تحليل المناهج المتعددة والمعارضة لعلم السياسة ، والتى تدور بين النظرية التجريبية والنظرية العرفية .

٢ - المنهج التاريخى جورج هـ سابين Sabine

إن أفضل من يمثل المنهج التاريخى أو التقليدى فى علم السياسة هو جورج هـ. سابين ، ويستهل سابين تعريفه لعلم السياسة بصورة محددة جدا فهو يقترح أن ندمج فى علم السياسة جميع الموضوعات التى كانت مثار مناقشة فى كتابات فلاسفة السياسة المشهورين من أمثال أفلاطون وأرسطو وهوبز ولوك وروسو وبنتام وميل وجرين وهيجل وماركس وآخرين ، وعندهم سوف نحاول أن نبحث عن تلك الاسئلة التى أثاروها حول صحة أو سلامة النظريات السياسية وأسئلة تتصل بالفضائل أو المثل المراد تحقيقها فى الدولة ومعنى الحرية ، ولماذا ينصاع الناس للحكومة ومجال أنشطة الحكم ومعنى المساوة .. تلك هى بعض الاسئلة أو القضايا التى اثارت أذهان فلاسفة السياسة على مدى عصور التاريخ . بالإضافة إلى ذلك يمكننا أن نعمل حصراً للأسئلة أو القضايا التى أثارت أذهان فلاسفة السياسة على مدى عصور التاريخ . بالإضافة إلى ذلك يمكننا أن نعمل حصراً للأسئلة التى تختص بالدولة ، والعلاقة بين الدولة والمجتمع ، وبين الفرد والدولة ثم نناقشها فى النهاية إذا لم تكن قد نوقشت مناقشة مستفيضة من جانب فلاسفة السياسة . وتمثل هذه الامور أسس النظرية السياسية ، طبقا لفكر المفكرين التقليديين . ولقد ربط سابين Sabine وكتاب تقليديون آخرون أهمية كبرى بالمنهج التاريخى . والنظرية السياسية – عند سابين – هى دائما سابقة بالنسبة لموقف معين محدد " ولذلك فإن عمليات إعادة بناء " الزمن والمكان والظروف التى تنشأ فيها " شئ ضرورى لفهمها . إن حقيقة أن النظرية السياسية هى دائما متصلة فى " موقف معين محدد " لا يعنى أن لها علاقة بالزمن المستقبل . إن النظرية السياسية الكبرى تتميز وتتفوق فى كل من "

تحليل الموقف الحالى والايماء بمواقف أخرى " وبذلك إن النظرية السياسية الجديدة – حتى العصور المقبلة ، انها بالضبط تلك الصفة العامة للنظرية السياسية ، والتى تجعل منها شيئاً جديراً بالإحترام . إن النظرية النموذجية تشمل حسب تصور سابين – عبارات تصف حال وأوضاع تؤدى الى نشأتها (ب) عبارات تدور حول " مايمكن أن نطلق عليه تجاوزا " " الطبيعة العرضية " (ج) عبارات تشير الى أن شيئا يجب ان يحدث أهو الصواب فى أن يحدث أم هو الذى يستحسن أن يحدث " إن النظريات السياسية – على ذلك تشكل – طبقاً لرأى سابين عناصر : الواقع والعرضى والقيمى ، وفى النظريات السياسية ذات الدلالة الكبرى قد ظهرت فى فترات الشدة وفى تاريخ العلوم لنا على إمتداد ٢٥ قرنا ظهرت فترتين مدة كل منهما ٥٠ سنة فى مكانين مختلفين إزدهرت فيها النظرية السياسية كثيراً فى أثينا فى النصف والربع الثالث من القرن الرابع الميلادى عندما كتب أفلاطون وأرسطو أعمالهم الكبرى وفى انجلترا بين أعوام ١٦٤٠ – ١٦٩٠ عندما ظهر هوبز ولوك وآخرون – طوروا نظرياتهم السياسية وهاتان هما الفترتان للتغير العظيم فى التاريخ الفكرى والإجتماعى فى أوربا . ويرى سابين Sabine أن النظريات السياسية الكبرى لا تنشأ عن أزمة بهذا الكيف ، ولكن من خلال ردود الفعل التى تتركها على عقول المفكرين . ولكى نفهم نظرية سياسية – على ذلك ويجب أن نفهم العصر الذى نشأ فيه بوضوح كذا المكان والظروف الملابسة لذلك . وقد لا يشترك الفيلسوف السياسى فعلا فى سياسة عصره ولكنه يتأثر بها وبالتالى يحاول أن يؤثر فيها ، ويرى سابين أن النظريات السياسية " تلعب دورا مزدوجا " بمعنى أنها فى الوقت الذى تنتمى فيه إلى عالم الفكر المجرد ، إلا أنها تؤثر على العقائد والمعتقدات التى تصبح أسباباً وتحتد كأحداث عرضية فى المواقف

التاريخية . ومن الضرورى كذلك فهم ما إذا كانت النظرية السياسية صحيحة أو زائفة ، سليمة أو سخيفة ، يمكن التعويل عليها أم لا . ويتضمن هذا مسألة ومن الضرورى لذلك ولكى نفهم النظرية السياسية يجب ان نحاول أن نجمع بين الواقعى والعرضى والقيمى .

لقد عالجنا الان كيف ان سابين Sabine سمى " البناء المنطقى للنظرية السياسية " وعلينا أن نفكر فى " مكوناتها النفسية " إن النظرية السياسية ليست تدريباً فى فراغ فكرى ، إذ القصد فيها التحريض والاقناع ، والغرض من التحريض دائما موجود أمام من يقوم بتنظير السياسة . إن بعض ما يصفه الكتاب المحدثون بفولكلور الفلسفة " أو حتى مجرد " الايديولوجية " أمر حيوى لفهم النظرية السياسية إن العقائد التى ولدها فلاسفة السياسة . بصرف النظر عن صحتها أو زيفها – لها تأثيرها على التاريخ . إن كل نظرية سياسية – حسب رأى سابين – هى " حقيقة جوهرية تماماً ، تحدث فى خضم الحقائق التى تشكل موقفاً سياسياً معيناً . وهى على هذا النحو لها أسبابها كما أن لها نتائجها أيضا بصرف النظر عن صحتها أو زيفها . إن النظرية السياسية لذلك يمكن الحكم عليها بطريقتين :

– كنظرية يمكن أن يوجه اليها الإنسان النقد المنطقى وان يحلل معناها وأن يبرز أوجه القصور فيها . ولكن كسبب للأحداث قد يحاول الإنسان أن يكتشف أى طبقة من المصالح، تمثل أو أى دافع لدى المفكرين السياسيين حدت بهم إلى ذلك . ولكن عندما نناقش النظرية السياسية – كسبب أو كمجموعة من المعتقدات تؤدى الى أحداث ووقائع معينة يجب ألا نخلط بينها وبين المظهر التجريدى لها . ويجب ألا نخلط كذلك بين مظهرى النظرية السياسية : المظهر الذى تكون فيه جزءا من عالم الفلسفة أو الفكر المجرد والمظهر الذى تكون فيه جزءاً من بيانات ومعلومات

عن السياسة . ومن الضرورى أن تميز بين الحقائق والقيم إلى جانب وجود فكر مستقيم متماسك فى كل منهما . إن النظرية السياسية على ذلك تشمل – حسب رأى سابين – على كل من الفكر السياسى والفلسفة السياسية وعلم السياسة .

٣ - المنهج السوسيولوجى (الخاص بعلم الاجتماع) :

جورج أى كاتلين Catlin لقد تعرض المنهج التاريخى عموما للنقد بأنه يميل إلى النمط التقليدى كما رأى البعض أن يضيق من وجهة النظر إلى السياسة ويقصرها على ساحة الدولة . ولقد حاول العديد من الكتاب المعاصرين توسيع مجال علم السياسة بحيث لا يضم الدولة فحسب بل المجتمع أيضاً ، وهى وجهة نظر تبناها كاتلن Catlin . ويفضل كاتلن إستخدام السياسة بالمعنى الذى تشمل فيه على تلك الأنشطة التى تجرى فى المجتمع . ويعتبر كاتلين أن علم السياسة وتميزه عن علم الاجتماع يعطينا عددا من المميزات التى تميز هذا المنهج الذى يسمح للدارس أن يعالج العلاقات السائدة فى المجتمع وتركيبه ككل وليست عن طريق الشرائح المصطنعة التى ظهرت فيما بين القرن الخامس عشر والسابع عشر فى أوربا والتى توصف هذه الأيام " بالدولة الحديثة " ويربط دراساته بالنظرية العامة للمجتمع والتى يمكن أن يتجاهلها علماء السياسة على مسئوليتهم . الأمر الذى لم يقع فيه أغلب علماء السياسة المحدثين . إذا كان عالم السياسة يعالج الدولة كوحدة تحليل فمن المحتمل أنه يهمل التفاصيل التافهة والشائعة المترابطة بالأحداث بين يوم وآخر والتى لا يستطيع فهمها ما لم يربطها بما يحدث فى المجتمع . ويوجد عدد كبير من الدول اليوم ولكن لا يمكن إعتبارها وحدات فردية من أجل أغراض التحليل السياسى وعلى الإنسان أن يذهب إلى خصائصها الأساسية ، وإذا قرر عالم السياسة أن يذهب وراء

دراسة المؤسسات ويتحمل مسئولية دراسة للوظائف والعمليات التى يسهل عليه إلتقاطها كوحدات تحليل - وكاتلين Catlin من جانبه قد أختار دراسة ظواهر السيطرة على أنها مركز دراسة السياسة .

وأجهزة السيطرة أو التحكم التى قد تتخذ شكل سيطرة على آخر أو فرد على جماعة أو جماعة إلى أخرى ، ويرى كاتلين أن هذه السيطرة " تنشأ عن المطالب العادية للكائنات البشرية ولا تظهر إلى الوجود لأن المجتمع يفرض وجودها " .

والسيطرة بهذا المعنى لا يفرضها الشرير على البرئ إذ أن الطبيعة البشرية تتطلب هذه السيطرة بل وتفرضها .

وكاتلين catlin على دراية بالمخاطر وإساءة إستخدام السلطة والتطلع اليها وأنها المحدد الوحيد للعلاقات السياسية . ويجب ألا تربط بين السلطة والسلطة العسكرية ولا حتى يجب أن تعنى " السيادة " حيثما يقول : كاتلين « وهو خطأ وقع فيه هانز مورجانثو » ، إذ يقول إن سياسة السلطة ليست سيئة فى حد ذاتها ولكن تدمير سياسات السلطة هو الخطأ كما ذكر مورجانثو فى أعماله الأولى حتى التعاون يمكن أن يكون صورة من صور السلطة ، إن التمييز بين علم الاجتماع وعلم النفس - على إعتبار السلطة خاصيته الرئيسية - فإن كاتلين يفضل علم السياسة على أنه أقرب إلى هذه المبادئ . وعلى الرغم من اعترافه دون خجل بأنه " سيكولوجى " بالمعنى الذى يراه جراهام وألاس وجيمس برايس الا أنه أقرب الى ميريام Merriam ولاسويل مؤسس المنهج السلوكى ويعرف لاسويل علم السياسة بأنه " دراسة المشاركة فى السلطة وتشكيلها " وهو تعريف يقبله كاتلين والفرق الوحيد أنه يفضل تسميتها ظواهر السيطرة على جميع المجال الاجتماعى مع وجود " إفتراض غير مفهوم يدفع نحو السلطة " .

٤ - المنهج الفلسفى ليوشتراوس Leo Strauss :

بالإضافة إلى وجهات النظر التقليدية والمعاصرة بشأن علم السياسة توجد وجهة نظر ثالثة يقدمها شتراوس ويمكن وصفها بالمنهج الفلسفى ويميز شتراوس بين النظرية السياسية والفلسفة السياسية ويرى ان كليهما جانبان من الفكر السياسى . والنظرية السياسية عنده " هى محاولة معرفة طبيعة الاشياء السياسية بصدق " .

وحيث ان الفلسفة هى " البحث عن الحكمة " أو عن المعرفة العامة الشاملة من أجل الجميع " إلا الفلسفة السياسية " هى محاولة معرفة طبيعة الاشياء السياسية بصدق الى جانب معرفة النظام السياسى الصحيح " ويمتد الفكر السياسى إلى كل من النظرية السياسية والفلسفة السياسية والنظرية السياسة والفلسفة السياسية يكملان بعضهما البعض لأنه " لو نظرنا عموماً فأنه من الصعب فهم الفكر أو العمل دون تقيمة " . ويعتقد شتراوس كلا من المذهب التاريخى ويمثله سابين وتجريبية العلوم الاجتماعية التى كان يدافع عنها كاتلين وقد وصفها شتراوس بأنه " الخصم الكبير للفلسفة السياسية " .

ويرى شتراوس أن القيم جزء لا يمكن الإستغناء عنه فى الفلسفة السياسية ولا يمكن إستبعادها من السياسة . إن كل العمل السياسى يهدف إما إلى المحافظة أو الى التغير، ويوجهه فى ذلك فكر أو تقييم ما لما هو أفضل وما هو أسوأ ونتوقع أن يتوفر لدى عالم السياسة أكثر من مجرد الرأين .فلا بد أن تتوفر لدية المعرفة معرفة الخير للحياة والمجتمع . " إذا كان هذا التوجه يصبح أمراً ظاهراً صريحاً واذا جعل الناس هدفهم إكتساب معرفة الحياة الصالحة

للمجتمع الصالح فمن هنا تظهر الفلسفة السياسية " " وان المزاعم حول طبيعة الأشياء السياسية والتى تتضمن معرفة تلك الأشياء " هكذا يقول شتراوس " لها طابع الآراء . وأنه أذا أصبحت تلك المزاعم فقط موضوعا للتحليل النقدى تنشأ حينئذ المناهج الفلسفية أو العلمية في السياسة أن الفلسفة السياسية عنده هي « محاولة إستبدال رأى عن طبيعة الأشياء السياسية بمعرفة طبيعة تلك الأشياء وهي « المحاولة الحقة لمعرفة كلاً من طبيعة الأشياء السياسية والنظم السياسية والنظام السياسى الصحيح إن الفلسفة السياسية بهذا الشكل الشامل قد نشأت منذ بدايتها وبدون إنقطاع – حتى بعد بداية السلوكين وإثارتهم المشكلات حول موضوعها .

وينتقد شتراوس بشدة التمييز المصطنع الذى يحدث الآن بين علم السياسة . وإن التمييز بين الفلسفة والعلم لا يمكن تطبيقه على الشئون الإنسانية . ولا يمكن أن يكون هناك علم سياسى غير فلسفى أو فلسفة سياسية غير علمية . وبالتركيز وكثيرا على المظهر التاريخى لعلم السياسة نجد ان المؤرخين قد فصلوه عن طبيعته العلمية دون حدود ، حاولوا أن ينزعوا عنه جوهره .

٥ - المنهج التاريخى : المميزات واوجه القصور :

لماذا يجب اعتبار دراسة النظرية السياسية الكلاسكية جزءاً لا غنى عنه فى أى مقرر سياسى وبالإشارة على وجه الخصوص إلى افلاطون وفلاسفة السياسة الآخرين في الماضي . وكون أن يصبح أفلاطون موضوع أعنف المحاولات بين الأكاديمين اليوم أمثال بوبر Popper ، وفايت Fite وراسل Rassel ، كروسمان Crossman الذين يقللون من شأنه فى معالجته للأخلاق والسياسة وبأنها تنقصها الحيوية والإصرار – نجد فى الناحية الأخرى وأيلد

Wild ، وليفنسون Levison وآخرين يدافعون عنه بإقتناع تام وحيوية شديدة – كل هذا يوحى بأن أفلاطون (وإلى حد ما كل فيلسوف سياسى ذائع الصيت) يعالج مشاكل لا تختص بعصره فقط ولكن بكل العصور ودراسته وبهذا المعنى يمكن دراسه المعنى التاريخى – كمرحلة فى تاريخ الأفكار والمؤسسات – وبالمعنى التحليلي حيث أنه يمثل مجموعة من المبادئ أو نظام ممكن من الفروض السياسية التي تم تصورها كمظهر شامل للحياة وخبرة فيها . ويكتب سبلى Sibley « إن الفهم الكامل للظواهر السياسية يمكن أن يشتمل على فهم الطريقة التى صاغ فيها الناس فى كل العصور والثقافات السياسية العامة والأهداف التى أنجزوها أو ظنوا أنهم أنجزوها " ويبقى فلاسفة السياسة الكلاسكية من أمثال أفلاطون وأرسطو قدراً كبيرا من الضوء على البنية السياسية والتنظيم السياسى والمشاكل السياسية والفروض السياسية الكلاسكية من أمثال أفلاطون وأرسطو قدراً كبيراً من الضوء على البنية السياسية والتنظيم السياسى والمشاكل السياسية والفروض السياسية وأهداف المؤسسات المعاصرة . يذكر سبلى Sibley إذا كانت دويلات المدن الأغريقية مثلا ذات دلالة على الطرق التى إنتظم بها الناس سياسيا ، ولذلك فإن المفكرين السياسيين الكاسيكيين يعطوننا بالتأكيد مفاتيح هامة عن كيفية تطورها وكيفية عملها " . ولقد كان أفلاطون وأرسطو أول من وضع فكرة الطريقة " العلمية " فى السياسة إلى جانب أنهما مارسا تأثير كبير فى تشكيل المؤسسات وفى تشكيل الأفكار . إن قدرا كبيرا من البنية التأسيسية للحياة فى العصور الوسطى وكثير من مبرراتها هو فى الأصل أفلاطونى ولكنه لم يتأثر مباشرة بكتابات أفلاطون (والتى فطن أنها فقدت فى الفترة ما بين القرن الخامس والخامس عشر " ولكن عن كتابات شيشيرون Chesheron

وأغسطين Angnstine . لقد تأثرت المدينة الفاضلة " يوتوبيا لتوماس مور بالتأكيد بجمهورية أفلاطون والقوانين Republic & Laws لقد كان للأفلاطونية وقع كبير فى أواخر القرن وهيجل والمثاليين ، ومن المحدثين يمكن أن تذكر هـ . ف فى . ويلز H. F. Weels وكروسمان Crossman ووانرفايت Fite وكارل بوبر Popper وكثير آخرين " .

ومع التسليم بأهمية دراسة المفكرين السياسيين الكلاسيكيين يجب ألا ننسى أوجه القصور فى المنهج التاريخى فقد بذلت المحاولات للوصول إلى نصوص يعتمد عليها وتتبع الاقتباسات والعوامل الشخصية والبيئية وكلها كما ذكر واتكنز Watkins كانت تمثل مساحات البحث التقليدية فى مجال النظرية السياسية : إن عالم السياسة أكثر إهتمام بالسلوك السياسى الجارى وقد يجد فى دراسة ملاحظات وتعمقات مفكرى السياسة الكلاسيك شيئا من الإتصال بموضوعه .

٦ - المنهج المتكامل كارل ج . فريدريك

An Integrated Approach : Carl j . Friedrich

من المهم ألا نسمح لعلم السياسة ألا يضيع فى خضم العلمية Scienticism أو الأخلاقية Moralism ومن المهم كذلك أن المظاهر الفلسفية والعلمية للنظرية السياسية يجب ان تفهماً فهماً جيدا ويتم التركيز عليها . ولكن قبل ان نحاول أن نفهم المظهر العلمى للنظرية السياسية يجب ان نفهم أولا ماذا نعنى بكلمة " علم " قبل أن نحاول أن نفهم ما المقصود بكلمة " فلسفة " لقد أخذ العلم صفات متعددة على أنه " فرع المعرفة أو الدراسة التى تعالج مجموعة من الحقائق المنتظمة وأن يبرر كيفية " عمل القوانين العامة ويوصف أيضـــا بأنه

معرفة الحقائق المنتظمة وأن يبرر كيفية عمل القوانين العامة ويوصف كذلك بأنه « فرع أو جانب من المعرفة " . والمنهج العلمى لدراسة المشكلة – بناء على ذلك – يتضمن أمرين : (أ) الإتفاق على الأساليب أو الطرق (ب) تدريب الإنسان على العمل العلمى . وبوضع هذين المظهرين فى الاعتبار يعرف فريدريك Frie-drich العلم على أنه " مجموعة من المعارف للمنظمة يعرفها المختصون ويتوسعون فيها من خلال إتباع الأساليب والطرق التى يتعارفون عليها معا على انها تفى بالغموض للوصول إلى هذا النوع أو ذاك من المعرفة " والعلم من كل هذا هو معرفة " منظمة " ونظرا لوجود إتساق بين الطرق والأساليب المستخدمة فى جميع المعلومات الخاصة بذلك العلم على يد العلماء وهذا يعطيه إتساق منطقى تصبح التصريحات أو العبارات العلمية تتسم بالصحة والثبات من قبل العلماء الآخرين وهذا التعريف للعلم والذى من الصعب أن نتحداه لا يذكر لنا بأنه نفس الطرق والاساليب يمكن تطبيقها على كافة العلوم ولو أخذنا مثالاً بسيطاً على ذلك كموضوع التعميم نجد أنه لا يتفق علمان من العلوم فى درجة التعميم والتى تجعل منهما علمين صحيحين . والطرق التي ثبت نجاحها إلى حد كبير في مجال الفيزياء والكيمياء ربما لا يمكن ان تنطبق على علم الفلك ولكن هذا لا ينقص من علمية علم الفلك . وربما يتبادر الى الذهن أنها متشابهة – على الاقل – فى المعنى بأن كليهما يعملان على اساس بيانات كمية دقيقة ، والعلم مع ذلك – لا يتطلب أيضا الإرتباط والكفاية فى النتائج . ولقد تحول التاريخ إلى علم خلال العقود القليلة الماضية ، ولكن تطور طبيعته " العلمية " ليس له علاقة بعملية الكم – إنه على أساس الدراسة العلمية المستفيضة للمصادر والأسلوب النقدى للشواهد هى التى أدت إلى تقدم كبير فى الأساليب العلمية فى التاريخ . ويوضح فريدريك Friedrich أنه " لا درجة

التعميم ولا التخصيص الكمى فى حد ذاتهامعايير "مطلقة " فى التقدم العلمى ولكنها يجب أن تغتنم بالنسبة لما هو متاح من المادة العلمية المراد تقديرها " ثم يقتبس قول ارسطو بالقبول ويصفه بأنه دليل على رجل يتعلم ذلك الذى يبحث عن الدقة فى كل طائفة من الأشياء بقدر ما تسمح طبيعة الموضوع وعلم السياسة – بصفته نظام شامل – قد لا يحتاج إلى طريقة واحدة بل الى عدة طرق . وعلى عكس علم الاجتماع وعلم النفس – حيث تكون الجماعة والفرد موضوع الدراسة وهى دراسة يمكن ان تتم عن طريق يتصف بالدقة والضبط .. الخ . نجد أن علم السياسة يعالج الدول الاقليمية وهى أكبر شكل منظم من أشكال المجتمع والتى تتغير طبيعتها وصورتها وأهدافها من وقت إلى آخر ومن قطر إلى قطر آخر كما أن كل تغير قد يتضمن نصحاً مختلفاً أو طريقة مختلفة أو خليطاً من المناهج والطرق المختلفة . إن ظهور الشكل الدستورى من الحكومات بالإضافة إلى مبرراته . قد يحتاج نوعاً واحداً من الطرق ، فى حين أن ظهور دكتاتورية كلية شمولية يتطلب نوعاً آخر تماما . وفى تاريخ السياسة من الجائز أن يعتمد الإنسان على ما قبل التاريخ وعلى التاريخ وعلى الشعوبية وعلى الأنثروبولوجى وعلم النفس وعلى مناهج أخرى عديدة وقد يتطلب الأمر أحياناً طريقة أو منهجا تاريخياً موثقاً وفى حالات أخرى يتطلب دراسة الحالة وتحليلها وفى حالات ثالثة يتطلب إجراء العمليات الإحصائية والمقابلة ، والنظرية السياسية على ذلك يجب أن تستمر فى الإستحواذ على الطابع العلمى . وإن كل ما نفهمه هو أن العلم لا يعنى بالضرورة إستخدام نفس طرق البحث فى العلوم الإجتماعية كما هى فى العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء ولا نفس الطرق التى نستخدمها فى العلوم الاجتماعية كعلم الإجتماع والنفس وتطبقها على علم السياسة ، إن الطابع العلمى لعلم السياسة لا ينقص أى شئ من طبيعته الفلسفية . ولكى تكون

النظرية جيدة الفلسفة يجب كذلك أن تكون جيدة العلم . ماهـــى الفلسفة إذن ؟ ثمة تعريفات متعددة للفلسفة فقد عرفت بأنها " دراسة أو علم الحقائق أو المبادئ التى تكمن وراء كل المعرفة أو الواقع " وثمة تعريف آخر " هى دراسة علم مبادئ فرع أو موضوع معين من فروع المعرفة " وثمة تعريف ثالث " انها حب الحكمة أو المعرفة خاصة تلك التى تدور حول الحقيقة الكلية " ومع كل هذه المفارقات فى التعريف فإن الفلسفة يمكن أن تعامل عموما على أنها معرفة من نوع عام جدا ويرى برتراند راسل أنها تتكون من شقين ليسا متساويين فى المزج أنها " نظرية حول طبيعة العالم " وهى مبدأ أخلاقى أو سياسى يختص بأحسن وأفضل طريقة للزيادة " وفى نفس السياق يذكر فريدريك Friedrich بأن الفلسفة عموما تعالج مشاكل يمكن إستيعابها داخل إطار المعرفة الموجودة ولكنها قد تتخطى ذلك وتثير أسئلة " ميتافيزيقية " وتحاول أن تعطى لها الأجابات سواء على أساس منطقى اسطورى . وفهمها على هذا النحو ، تكون الفلسفة متميزة عن العلم . ويأتى علم السياسية للفلسفة بالحقائق والتعليمات بالتالى أو فى مقابل ذلك يتلقى عنها المقدرة على معالجة تلك المشكلات بصورة شاملة وليست متفرقة . ولا يستطيع أى عالم سياسى أن يكون اطار من المعرفة السياسية دون ان تتوفر لديه فلسفة عامة عن الحياة وينطبق هذا القول على ارسطو ولاسكى أو أى مفكر سياسى حديث .

وإذا سلمنا بصدق ذلك واتخذناه كأساس للنقد وعلى إعتبار ان عدم كفاية الفلسفة السياسية وعدم ارتباطها بالموضوع يرجع فى الحقيقة إلى أن الفلاسفة لا يستطيعون أن يحيدوا أنفسهم عن دراساتهم ويرد فردريك على ذلك بأن عملية الحياد أو الإنفصال هذه غير ممكنة . إن أمهر علماء السياسية لا يمكن

أن يبعدوا أنفسهم عـن مناقشة مفاهيم مثل " السلطة " والعـــدالة و " القيم " و " الجماعة " و " الدولة " و " المجتمع " وأن هذه المفاهيم لا يمكن أن تستخدم بالإشارة إلى فلسفة الكاتب العامة ولكن حتى لو حاول علماء السياسة الهروب منها (أى الفلسفة) فإن الفلاسفة أنفسهم لن يتوقفوا عن دراسة تلك المفاهيم .

الطابع المستقل ذاتيا لعلم السياسة : نورمان جاكبسون

Autonomous Character of Political Science : Norman Jacobson

إن التوحيد الدقيق بين علم السياسة وكل من العلم أو الفلسفة يثير فى رأى نورمان جاكوبسـون – خطر آخر ألا وهو إنتهاء النظرية السياسية بنوع من " العلمية " أو الأخلاقية " وقد حاول أن يوضح أن علم السياسة لا هو " علمية " ولا أخلاقية " ولكنه مستقل عن أى منهما ولكن شخصيته خاصة به . والذين يحاولون ان يصيغوه فى صورة " علم " كامل وأن يطبقوا عليه طرق البحث والإجراءات فى العلوم لا يفهمون دائماً معنى " العلم " ولا يستطيع الإنسان أن ينكر ميزة إستخدام المعرفة التى نتجت فى مجال ما لصالح فهم مجال آخر ولكن على الإنسان أن يفهم كذلك الفرق بين المجالين ويرى جاكبسون أن على علماء السياسة المعاصرين أن يجعلوا شيئا آخر خلاف علم السياسة . ويقول " يبدو أن السياسة هى علم النفس أو الاجتماع أو فلسفة أخلاق – إنها أى شئ بهذا الشكل خلاف السياسة " . ويرى كذلك أن السياسة هى نوع خاص من النشاط الفكرى ويجب أن تدرس فى وضعها الصحيح . وإذا نزعنا " العلم " عن النظرية السياسية قد تصبح فضلات – بقايا – " أخلاقية " لا قيمة لها . وإذا نزعنا عنها " الفلسفة " فإنها تقللها حتى تصل إلى درجة طرق البحث . وأن أولئك الذين يؤكدون الطابع العلمى أو الفلسفى لعلم السياسة إلى درجة ربطه بأى منهما قد

يكون من أنصار " العلمية " أو " الأخلاقية ولكنهم بالتأكيد ينقصهم حساسية الإلتزام والتكريس لعلم السياسة ذاته .

إن وحدة النظرية السياسية يمكن تقديرها فقط من خلال الإعتراف بالسياسة كنوع خاص من النشاط والإلتزام بها .

وبنما مهد جاكوبسون على إستعداده لإستعارة مفاهيم وأدوات من العلوم الأخرى الا انه يحذر من الإستعارة دون تمييز .

وينطبق هذا ، على الألفاظ بالذات . بل أنه ينتقد أن تصبح لغة أو ألفاظ علم السياسة دقيقة وعلمية . اذ أن تعقيم اللغة يمكن أن تؤدى بسهولة الى تعقيم الفكر

Sterilisatian of langnage Can Lead to Steralization of Thought واذا أخذنا جانب الموضوعية فيرى جاكوبسون أن عالم السياسة لا يستطيع أن يكون موضوعيا مثلما يحدث فى عالم الفيزياء .

واذا كان لابد من عدم الخلط بين النظرية السياسية ، والعلمية " فيجب ألا نخلطه كذلك " بالأخلاقيه " . اذ أن الأخلاقى من عادته الوعظ المستمر ويبدو أنه يتجاهل حقائق الحياة السياسية وقد يقلل من مستوى النظرية الأخلاقية .

ان البحث عن نظرية سياسية هو البحث عن نظريات أخلاقية كما يرى هوبز ، وروسو ويذكر جاكوبسون أن " النظرية السياسية لا هى " علمية " ولا " أخلاقية " سواء نظرنا اليها فى هذا الجانب أو ذاك . وان الإهتمام الجوهرى المركزى لها هو البحث عن الحكمة السياسية " .

وانتقد جاكوبسون كذلك فكرة وجود نظام مع التركيز على طرق البحث

ومناهجه والذى اتبعه السياسيون المحدثون . ورأى فيه منهجاً ساذجاً " لفهم السياسة . وان دراسة السياسة تتطلب شيئا أكثر من المهارة والتدريب : انها تتطلب فكرا قادرا على التمييز ومعرفة أكثر من معرفة الأساليب وتتطلب خيالا وخبرة والقدرة على الحكم بل وأكثر من كل ذلك للتكرس للموضوع . وان الهاوى الموهوب ذو الإهتمام الأصيل بالسياسة سوف يقدم الكثير فى فهم السياسة ، أكثر من المحترف غير الخيالى القليل الاهتمام .

obeikandl.com